مهداة الى ربات البيوت

هذا من الخادمات

بقلم الاستاذ حسن الجزايرلي

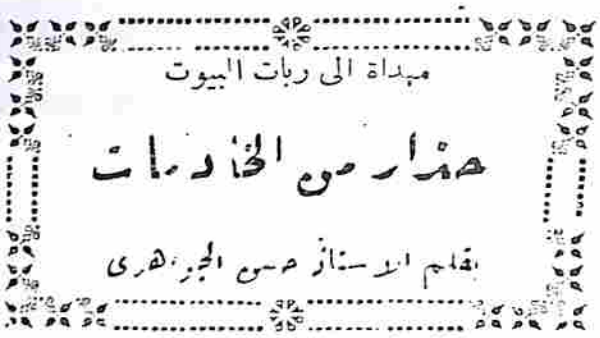

كانت تسير مدفوعة مع تيار المتنزهين والمتنزهات المتجهين جميعا الى مطارح اللهو واماكن السرور في امسية من أمسي الربيع وقد طرحت على رأسها عباءة رثة من الصوف غطت معظم جسدها الا الوجه واليدين والقدمين وبين اللحظة والاخرى تقف مأخوذة بروعة المنظر تحدق في الوجوه الضاحكة المستبشرة تحديقاً عميقاً ينبيء عن عمق في التفكير وغور في التأمل وكم مرت عليها سيدات واوانس من الطراز الراقي الجميل بعضهن راكبات وبعضهن راجلات وهن في اجمل زينة وانضر رواء تفوح من أردانهن روائح الفداح و الياسمين وتتلفح على وجوههن مظاهر النعمة والثراء . بينما هي تزدحم في صدرها الحسرات وتجول في عينيها العبرات ومازالت تواصل السير بهيئتها الزرية ومنظرها الكئيب آخذة طريقها بين الجموع الزاخرة الى الحديقة العامة وهنالك جلست على اريكة من الارائك المنتشرة هنا وهنالك من تلك الحديقة الغناء وراحت تنظر بعينيها الدامعتين الى حركات المتنزهين فرأت المال يتسرب من الجيوب كما تتسرب المياه من الينابيع لكي تجلب لاصحابها الراحة والهناء وسمعت باذنيها الضحكات العالية تنطلق من الحناجر لتطرد ماعلق في الصدور من ادران الضجر واوضار الهموم ثم تأملت هيئتها القذرة وهند امها الزري فطفرت الدموع من عينيها وجرت على خديها الاسيانين حارة محرقة . وراحت تناجي حظها العاثر وتندب حاضرها البغيض بلسان لايقوى على البيان من شدة البؤس والكآبة . ومرت ساعة وهي جالسة على اريكتها التي لم يشاركها فيها احد من المتنزهين هربا من شبحها البغيض وهندامها الوضيع . وبينما هي محلقة في سماء الهموم والتفكير اذ اقبلت سيدة في العقد الرابع من عمرها لها من الجمال وحسن الهيئة نصيب موفور ولما لم تجدلها مكانا اضطرت للجلوس على الاريكة الجالسة عليها تلك الصبية البائسة فلما لمحت الصبية اطرافها وابتعدت عنها توقيراً لها واحتراماً لشخصيتها فاخذت تلقي عليها نظرات دقيقة فاحصة وتتأمل قسمات وجهها وبريق عينيها وجمال مبسمها حتى علمت ماينطوي ورآء تلك العباءة الصوفية القذرة من جمال إن وجدله متعهد يتعهده لكان خيرما يقتني ونعم مايدخر ولما فرغت من انعام النظر في ملامحها وتقاطيع وجهها شعرت بدافع يدفعها الى الحنو عليها والرأفة بها كفقيرة تستحق العطف والحنان ولم تلبث حتى مالت نحوها وسألتها : الك اهل يابنيتي تأوين اليهم وتستظلين بحمايتهم فاغرورقت عينا الصبية بالدموع ثم تنهدت وقالت لقد مات كل من كنت ارجوه لخيري وسعادتي ولم يبق لي الا خالة عجوز مكفوفة البصر مازالت تتعهدني وترعاني بما يجود عليها محبو الخير و لاحسان ، ثم سكتت وانصبغ وجهها بحمرة الخجل فقالت لها السيدة اذا كنت ترغبين العمل في بيتي كصانعة سوف اكون لك اما وستكونين عندي مرفهة الى ابعد حدود الترفيه فاستيقظت احلام الصبية من سباتها العميق وتركزت في ذلك الدماغ البيضوي الجميل تركيزاً هندسياً رائعاً ثم ابتسمت وقالت لي الشرف يا سيدتي لان اكون خادمة عندك اذا كنت ترين فيّ مايعجبك من حسن اداء الخدمة انني يتيمة ومرارة اليتم جعلتني احسن الى الام واتشوق اليها واذا كنت قد فقدت عطف ابوي الراحلين فانني سوف اجد في قلبك الرحيم ما يعوضني عما فقدته من عطف وحنان . ثم اسبلت جفنيها الى الارض وتوردت وجنتاها من الخجل وراحت تسبح في بحر عميق من الآمال والاحلام اللذيذة . فخلب كلامها لب السيدة ووقع في نفسها موقعاً جميلا وجعلها مصممة على نشلها من شقائها وبؤسها ولم تلبث حتى قالت لها هاهو ذا الوقت قد حان لان اذهب الى البيت فهل ترافقينني اليه ومتى ماوجدت فيه المهيئة وبعد دقائق معدودات نظرت السيدة حواليها فرأت شيئاً بغيضاً لايمت الى ذوقها بصلة . صبية قذرة منطوية على نفسها تنظر بعينين دامعتين اليها تارة والى الناس الاخرين تارة اخرى

راحتك واطمئنانك بقيت فيه كاحدنا . فرقص قلب الصبية في صدرها فرحا ثم نهضت وقالت لاارى في ذلك بأساً فلا كن ضيفة عندكم هذه الليلة على الاقل .فشكرتها السيدة على حسن بيانها ورقة نبراتها ثم صحبتها معها الى الشارع وهنالك اركبتها بجنبها في مركبة وبعد لحظة استقرتا في البيت وكان بيتاً جميلا فارها ينعش النفس ويبهر العين بفخامته وما يحويه من اثاث جميل وفي اليوم نفسه ادخلت السيدة صبيتها الحمام وغسلت ادرانها ثم البستها ثيابا نظيفة فيها ذوق وفيها جمال فبرزت دمية ياخذ منظرها بالالباب وفي الليل عاد الزوج الى البيت فاسرعت الصبية واختبأت في الغرفة خجلا واستحياءاً من رجل لم تعرفه بعد ولما استقر قليلا فاجأته زوجته فوجة بالعثور على صاغة طالما بحث الاثنان عن مثلها فلم يعثرا عليها وراحت تسرد عليه قصة المصادفة الغريبة التي صادفتها ومكنتها من التقاط هذه الدرة النفيسة ففرح الرجل فرحا شديداً لانه يحبها ويحرص على راحتها ومرت تلك الليلة حافلة باوفر مظاهر السرور ثم اعقبتها ليال كانت خلالها الصبية تحلم بمستقبل رائع خلاب وتقوم باعمال البيت خفيفة ظريفة تبعث على الهناء والراحة وماهي الا شهور تلاحقت حتى نسيت الصبية جوعها وعريها ودب في نفسها دبيب الغيرة الكاوية التي لاتخلو منها جميع بنات حواء وراحت تقف كل يوم امام المرآة تصفف شعرها وتدهنه وتصبغ شفتيها واظافرها . وتزجج حاجبيها وتخضب رجليها بالحناء وتفعل مثل ما تفعله النساء المتزوجات وكان طبيعيا ان يلفت سلوكها هذا نظر سيدتها ويثير شكوكها واوهامها فراحت تتضايق منها وتوادبعادها عنها حذراً من ان يعلق قلب زوجها بجمالها وكم من الازواج من اغتر بمظاهر الجمال فخان الزوجية ونقض المواثيق ومازالت تراقب الصبية التي سرعان ما اصبحت فتاة رائعة الجمال تشيع في البيت النور والبهجة وقد اكتملت انوثتها ونضجت مداركها وراح شيطان الغرور يدفعها الى التشبث بحبال البقاء في ذلك البيت الذي انفسحت جوانبه وردهاته لها ولآمالها العذاب . اجل مازالت تراقبها مراقبة شديدة ولكن قلب الزوج كان قد علق بها وخفق اليها وظل ينتظر الفرصة السانحة التي تمكنه من ضمها الى صدره وجعلها ملكة جديدة على ادارة شؤون بيته من حيث لاتعلم زوجته التي لايستطيع مغاضبتها لما تفيضه عليه من مساعدات مالية تردها من املاك ورثتها عن ابيها الغني الواسع الثراء ،فكان كلما طلبت منه ابعاد الخادمة وطردها يتصامم عن ذلك واذا ما الحت عليه يقنعها بكلام يحسن تلفيقه ويتقن صياغته ويشاء الحظ العاثر حظ الزوجة المسكينة ان يفاجأها مرض شديد تنتقل على اثره الى المستشفى فتبقى الدار فارغة الا من تلك الخادمة المحظوظة وفي يوم من تلك الايام دخل الزوج الى الدار عائدا من عمله فخفت اليه الخادمة وقدمت له مايلزمه من طعام وشراب وكانت لابسة ثوبا شفافا من الحرير الاخضر ومرسلة على نهديها البارزين خصلتين مظفورتين من شعرها الذهبي الجميل وفي قدميها حذاء براق من الطراز الراقي ذو كعب عال بديع وفي عنقها عقد من اللؤلؤ كانت قد استعارته من الجيران فرأى الرجل فيها اجمل مخلوقة ترتاح اليها نفسه ويخفق عليها قلبه وراح يسدد فيها نظره وهي تقوم وتقعد وتذهب وتجيء في فناء البيت وردهاته ولم تلبث حتى اخذت بشغاف قلبه ونزلت في نفسه منزل الزوجة الحبيبة الفاتنة .فراح يتهيء لمغازلتها ويعد العدة لمصارحتها بما يعتلج في نفسه من فتون الغرام ودسيس الهوى وقد وجد الفرصة سانحة والوقت ملائماً فلماذا التأخير وحتام الاحجام ولم ينقض ذلك اليوم حتى تم كل شيء من مراسيم الزواج الشرعي واصبحت الخادمة ربة ذلك البيت ومالكته ، اما السيدة فقد طال امد مرضها فبقيت في المستشفى زهاء اربعة شهور تماثلت بعدها الى الشفاء وعندما عادت الى بيتها لاذ العاشقان بالصمت والكتمان الشديدين خشية مالا يحمد عقباه ولكن الجريمة مهما بولغ في كتمان سرها فلابد ان تظهر معالمها وتعلن عن نفسها بنفسها اذ لم تلبث بطن الخادمة حتى اخذت تعلو وتنتفخ معلنة عن وجود الجنين فيها فقامت قيامة السيدة وهالها الامر وراحت تحتج بصرامة على هذا الفعل الشنيع طالبة من زوجها اخراجها وطردها حالا من الدار. اما الزوج فوقف تجاه هذه الظاهرة موقف الداهية المراوغ فسرعان ما اظهر الامتعاض الشديد من الخادمة وصب عليها وابلا من الشتائم والسباب بعد ان اتفق الاثنان على اتباع خطة مرسومة اختطاها لهما سراً ولم يلبث البيت حتى فرغ من تلك الخادمة الخطرة التي كادت ان تضعضع جوانبه وتثير فيه حربا شعواءاً بين الزوج وزوجته قد يعسر اخمادها ويصعب القضاء عليها فهدأت الاسرة بعض الهدوء وعادت المياه

الى مجاريها ولكن النفس البشرية لايقف دون رغبتها الملحة حاجز اومانع مهما احيط بها من عقبات فان العاشق قد استأجر داراً جديدة لعروس احلامه ومنتهى آماله بعيدة عن داره الاولى لاتخطر على بال احد من الناس وراح يغدق عليها من كرمه وسخائه الشيء الكثير ولكن بتحفظ وكتمان بشديدين خشية ان تعلم زوجته بذلك فتثير عليه عاصفة من الاحتجاجات والاعتراضات شأن كل امرأة تشعر بوجود ضرة تحاول مشاركتها في زوجها وشؤون بيتها وراحت الايام تمر وتتعاقب ومعالم الجريمة خافية غير ان الحب فضاح لابد ان يعلن في النهاية عن نفسه بنفسه ففي ليلة من الليالي كان الزوج عند عشيقته يعب من لذائذه وشهواته عباً مسرفاً أخره عن العودة الى بيته وزوجته الى بعد منتصف الليل فاثار ذلك شكوك الزوجة واوهامها وعندما ترامى في فراشه وغط في نومه اخذ يهذي هذيان المحموم مردداً اسم الخادمة مرات متواليات بصورة تنم عن تعلقه بها وحبه لها حباً جنونياً قاسياً. فاضطربت الزوجة المسكينة اضطراب المقرور وتدفقت الدموع من عينيها كالسيل المنهمر وظلت تلك الليلة ساهرة متململة تدق يداً بيد وتلعن الساعة التي جمعتها بتلك الصبية التي لم يخطر على بالها ان تخونها يوما ما ولم يبق في نفسها شك اوريب بان زوجها عالق بحبالتها ومنقاد لمشيئتها في الخفاء. ولما كانت على شيء كثير من الرزانة والتعقل كتمت امرها وتظاهرت بالنوم ريثما تتبع خطوات زوجها وتتجسس عن حركاته في خروجه ورجوعه وعندما نهض للفطور تظاهر باهتمام شديد للخروج لامر يتعلق بامور رزقه ومعاشه ولما بعد قليلا خرجت وراءه زوجته وهي تترسم خطاه وتراقب اتجاهاته ولم تزل تلاحقه وهو لايعلم حتى رأته يقف على باب ثم يطرقها طرقا متتابعاً فتفتح له وتظهر من خلفها الخادمة وقد ظهرت بمظهر رائع خلاب. آنذاك عرفت كل شيء فعادت ادراجها كئيبة لاتجد لها مخرجا من هم قاتل وجزع خانق ولكنها لم تعد الى البيت بل اتجهت صوب النهر وعلى الشاطيء الخالي المخضوضر وقفت تحدق في طيات الموج المتراكضة تحديقاً عميقاً ثم رمت بنفسها فطواها التيار الجارف كما يطوي الدولاب الرداء وبعد لحظة طفت على الماء جثة هامدة سرعان ما انتشلتها الايدي ووضعتها على الشاطىء تحت عاصفة من اللغط والاصوات العالية وفي تلك الساعة الرهيبة كان الزوج ماراً على ذلك الطريق المشئوم فاسترعى نظره ذلك الزحام المتراصي وراح يتدافع مع الناس ايرى الغريق المجهول الذي لم يعرفه احد بعد وعند ماشاهد زوجته وام اولاده بتلك الصورة المخزية تجسمت له جريمته الشنعاء وراح يعض على يديه اسفاً وندما وبينا هو في ثورة عنيفة من عذاب نفساني شديد اذ شعر بدافع يدفعه الى النهر لكي يلاقي عين المصير الذي صارت اليه زوجته الوفية فصرخ صرخة المعتوه ثم رمى بنفسه في النهر فابتاعه لحظة ثم رمى به جثة بلاروح فكانت مأساة مروعة شهدتها المدينة باسرها، وقبل ان تغيب شمس ذلك النهار غيبت الجثتان في لحديها واسدل على الحادث الغريب ستار كثيف من النسيان فحذار يارببات البيوت من الخادمات.

حسن الجواهري

(البيان) العدد ٢٩ التاريخ ١٥ / ١٠ / ٤٧

اعلان

ان الخان المرقم من ٤٤ الى ٥٠ / ١ و ٢ / ٢ المفرز منه ستة دكاكين بصورة غير رسمية الواقع بمحلة المشراق المحدود شرقا طريق الخاص ويتمه مدرسة الصدر ٤٢ / ١ تس ١٢٢٩ شمالا دار فتحيه بنت محمد القادر ٦ / ٥ تس ٢٥٣ ويتمها دار حاج ابراهيم بن عبد الحسين جكجوك وشركائه ٤ / ٢ تس ١٢١ ويتمها الطريق العام غربا الطريق العام جنوبا طريق السوق العام هو ملك صرف باعتبار خمسمائة وسته وسبعين سهما منها اثنى وسبعون سهما الى العراقي الحاج سلطان بن مطرود ابو كسار بموجب قيد الطابو المرقم ١٨ والمؤرخ شباط ٣٢٠ الدائم وبما انه قد ثبت بالكشف الجاري بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٤٧ على الملك المذكور ان ورثة الملك المذكور واضعين اليد على سهام مورثهم وحيث ان القيد المرقم ١٨ والمؤرخ شباط ١٣٢٠ الدائمي منقول للقيد المرقم ٢٥ والمؤرخ مارس سنة ١٣٢٣ الدائمي وان القيد الاخير من القيود المفقوده فعليه كل من يدعي حق التملك اوله علاقة بالسهام المذكوره عليه مراجعة دائرة الطابو من تاريخه لمرور خمسة واربعون يوماً مع مستمسكاته الرسمية ان وجدت وإلا ستجري معاملة الانتقال والتأييد والسهام المذكورة حسب الاصول..

٣ ـ ٣

مأمور طابو النجف